ADVANCE SOCIAL SCIENCE ARCHIVE JOURNAL
Available Online: https://assajournal.com
Vol. 4, No. 02 Oct-Dec 2025 .Page#.5007-5011
Print ISSN: 3006-2497 Online ISSN: 3006-2500
Platform & Workflow by: Open Journal Systems

Argumentation from the Initial Creation for the Proof of Resurrection according to Wahbah al-Zuhayli: "An Analytical Theological Study"

الاستدلال بالخلق الأول على البعث عند وهبة الزحيلي رحمه الله

(دراسة عقدية تحليلية)

Mr. Abdul Quddos
PhD Scholar, Department of Aqīdah and Philosophy, International Islamic University Islamabad, Pakistan
abdul.phdap507@iiu.edu.pk
Dr. Ibrahim bin Mian Jan
Assistant Professor, Department of Aqīdah and Philosophy, International Islamic University, Islamabad, Pakistan
ibrahim.mian@iiu.edu.pk

Abstract

This study explores the methodological and theological approach adopted by Wahbah al-Zuhayli in establishing the Islamic doctrine of resurrection (al-Baʿth) through the Qur'ānic argument of inference from the initial creation to re-creation, as presented in his renowned exegetical work Al-Tafsir Al-Munir. The research aims to analyze the intellectual foundations, exegetical principles, and rational dimensions underlying this argument, while highlighting its significance within contemporary Islamic theological discourse. The Qur'ān repeatedly employs the analogy between the first creation of humanity and its re-creation after death as a decisive rational proof for affirming resurrection and refuting the doubts of deniers. Al-Zuhayli presents this argument in a balanced and accessible manner, integrating textual evidence with sound rational reflection and demonstrating the harmony between revelation and reason. The study examines how al-Zuhayli derives theological implications from Qur'ānic verses that emphasize divine power, wisdom, and the observable realities of creation in nature and human existence. It further investigates the extent to which his methodology is rooted in the classical Sunni theological tradition while simultaneously reflecting a contemporary exegetical style that avoids excessive speculative theology and philosophical complexity. The research highlights his reliance on clear Qur'ānic reasoning, linguistic analysis, and logical coherence in proving the possibility and certainty of resurrection. Moreover, it discusses how al-Zuhayli reformulates traditional theological proofs in a way that addresses modern intellectual challenges, especially materialistic and secular claims denying the afterlife on the basis of empirical limitations and scientific reductionism. His interpretive methodology contributes significantly to renewing Islamic theological discourse and strengthening faith-based responses to modern ideological challenges related to resurrection and the afterlife.

Keywords: *Resurrection, Origination of Creation, Theological Argumentation, Al-Tafsīr al-Munīr, Wahbah al-Zuḥaylī, Islamic Theology (ʿIlm al-Kalām).*

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة منهج وهبة بن مصطفى الزحيلي في تقرير عقيدة البعث من خلال الاستدلال بالخلق الأول، كما عرضه في التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. وينطلق من تحليل الآيات التي تجمع بين بدء الخلق والإعادة، مبيّنًا كيف يوظّف الزحيلي هذا المسلك بوصفه برهانًا قرآنيًا فطريًا يقوم على إلزام المنكر بما أقرّ به من أصل الخلق.

كما تكشف الدراسة عن الجذور الكلامية لهذا الاستدلال في التراث السني، من خلال مقارنته بتقريرات من فخر الدين الرازي وأبو حامد الغزالي وأبو المعالي الجويني، مع إبراز خصوصية معالجة الزحيلي التي تجمع بين البيان التفسيري والتحليل العقلي دون انخراط في الجدل الفلسفي المجرد. كما يتناول البحث البعد الردّي في منهجه، ولا سيما في مواجهة الشبهات المعاصرة المرتبطة بالمادية الحديثة والاستبعاد العقلي للبعث.

وقد خلصت الدراسة إلى أن القياس على بدء الخلق يمثل من أقوى المسالك القرآنية في تقرير المعاد، وأن معالجة الزحيلي له تُجسّد نموذجًا للتكامل بين النص والعقل، وبين الأصالة التراثية ومتطلبات الخطاب العقدي المعاصر.

الكلمات المفتاحية :البعث، بدء الخلق، الاستدلال العقدي، التفسير المنير، وهبة الزحيلي، علم الكلام.

مقدمة

يُعدّ الإيمان بالبعث أحد الأصول الكبرى التي يقوم عليها التصور الإسلامي للوجود والإنسان والجزاء، وقد شكّل عبر التاريخ محور جدلٍ عقديٍّ بين المؤمنين والمنكرين. وإذا كان القرآن الكريم قد واجه إنكار المشركين للبعث بمسالك استدلالية متعددة، فإن أبرز هذه المسالك وأقواها من حيث البناء البرهاني: القياس على بدء الخلق؛ إذ إن القادر على الإيجاد ابتداءً قادر على الإعادة انتهاءً. ويبرز هذا المسلك بوضوح في تفسير وهبة بن مصطفى الزحيلي، ولا سيما في التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، حيث يعمد إلى تأصيل الدلالة العقدية للآيات الجامعة بين الخلق الأول والإعادة، مستثمرًا التراث الكلامي السني، وموجّهًا خطابه في الوقت نفسه إلى العقل المعاصر.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل البنية العقدية لهذا الاستدلال في تفسير الزحيلي، وبيان جذوره الكلامية، وتقويم أبعاده الردّية في مواجهة الشبهات الحديثة، ضمن صياغة علمية موثقة وفق أسلوب شيكاغو في الحواشي السفلية.

أولًا: البناء القرآني لقياس الإعادة على الابتداء

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: 27). يرى الزحيلي أن هذه الآية تبين برهانًا عقليًا فطريًا واضحًا، مؤدّاه أن من ثبتت قدرته على الإيجاد من العدم، لزم ثبوت قدرته على الإعادة بعد الفناء؛ لأن الإعادة ، من حيث التصور البشري ، ليست أعظم من الابتداء[1]. ويؤكد أن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ ليس

([1]) وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (دمشق: دار الفكر المعاصر، 1418هـ)، 21:45.

على معنى المفاضلة الحقيقية، إذ لا تفاوت في القدرة الإلهية، وإنما هو خطاب تقريبي يراعي مدارك المخاطَبين، فيقرّب لهم المعنى بما ألفوه من مقاييسهم البشرية[2].

ويُفهم من تحليل الزحيلي أن البرهان هنا ليس جدلًا فلسفيًا معقّدًا، بل هو نقل للخصم من الإقرار بالمبدأ الأول (الخلق) إلى لوازمه المنطقية (الإعادة). فالذي يعترف بأن الله خلق الإنسان من عدم، لا يسوغ له عقلًا أن يستبعد إعادته بعد موته؛ لأن القدرة التي تعلقت بالمستحيل عادةً —وهو الإيجاد من العدم، أولى أن تتعلق بإعادة موجود سبق وجوده.

ثانيًا: الجذور الكلامية للمسلك في التراث السني

لا ينفصل تقرير الزحيلي لهذا البرهان عن أصوله الكلامية في المدرسة السنية. فقد قرر فخر الدين الرازي في التفسير الكبير أن الإعادة ليست أصعب من الابتداء، وأن الصعوبة والتدرّج من صفات الأجسام، وهي منفية عن الله تعالى، فكما تعلقت قدرته بالإيجاد أولًا، تتعلق به ثانيًا من غير تفاوت[3]. كما ذهب أبو حامد الغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد إلى أن إنكار المعاد مع الإقرار بالصانع تناقض صريح؛ لأن العلة التامة إذا ثبت تأثيرها أولًا، لم يُعقل امتناع تأثيرها ثانيًا ما دام محلها ممكنًا[4].

وفي السياق ذاته، أسّس أبو المعالي الجويني في الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد دليل الحدوث على مبدأ الافتقار؛ فالمتغير حادث، وكل حادث محتاج إلى مُحدِث[5]. وإذا كان الإنسان حادثًا بإقرار الحس والعقل، فإن إعادته بعد فنائه لا تخرج عن كونه ممكنًا في ذاته، متوقفًا على تعلّق القدرة به. وهنا يتضح أن الزحيلي لا يبتدع مسلكًا جديدًا، وإنما يعيد صياغة الأصول الكلامية بلغة تفسيرية بيانية، متحررًا من التعقيد المنطقي.

ثالثًا: الاستدلال بأطوار الخلق وإحياء الأرض

لا يقتصر الزحيلي على آية الروم، بل يربط بينها وبين آيات أطوار الخلق، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ (الحج: 5). ويبيّن أن استحضار مراحل الخلق من تراب إلى نطفة إلى علقة إلى إنسان سويّ، إنما هو إقامة لشاهدٍ حيٍّ على إمكان الإعادة؛ إذ إن من نقل الإنسان بين هذه الأطوار المتباينة قادر على نقله من الموت إلى الحياة[6].

كما يبرز في تفسيره لآيات إحياء الأرض بعد موتها أن القرآن يعمد إلى تقريب الغيب بالمحسوس، فيجعل المشهد الطبيعي المتكرر (نزول المطر، إخضرار الأرض بعد جدبها) دليلًا عمليًا على إمكان البعث[7]. وقد قرر ابن تيمية في

([2]) المرجع نفسه، 21:46.

([3]) فخر الدين الرازي، التفسير الكبير (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، 25:112.

([4]) أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998)، 85.

([5]) أبو المعالي الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (بيروت: دار الكتب العلمية، 1995)، 40.

([6]) *التفسير المنير*، 17:132.

([7]) المرجع نفسه، 21:67.

مجموع الفتاوى أن هذا اللون من الاحتجاج القرآني أبلغ في الإقناع من القياس الفلسفي المجرد؛ لأنه يجمع بين الحس والعقل، ويخاطب الفطرة قبل الجدل.[8]

ومن هنا تتجلى سمة منهج الزحيلي في توظيف البرهان القرآني بوصفه برهانًا فطريًا واقعيًا، لا مجرد قضية نظرية.

رابعًا: الأبعاد العقدية والرد على الشبهات المعاصرة

يتجاوز الزحيلي مجرد تقرير الإمكان العقلي للبعث إلى بيان لوازمه العقدية؛ فالقول بنفي المعاد يفضي إلى إبطال العدل الإلهي، ويجعل الخلق عبثًا لا غاية له، وهو ما يناقض ما أثبته القرآن من الحكمة الإلهية(8). ومن ثم فإن الاستدلال على البعث ليس مجرد مسألة ميتافيزيقية، بل هو ركيزة في بناء التصور الأخلاقي والشرعي.

وفي مواجهة الشبهات الحديثة، يفرّق الزحيلي بين سؤال "الكيفية" الذي يدرسه العلم التجريبي، وسؤال "الإمكان والغاية" الذي يندرج ضمن البحث العقدي. فالعلم لا ينفي إمكان الإعادة من حيث المبدأ، بل يدرس الظواهر في إطار القوانين المشاهدة، أما خرق العادة فمتعلق بإرادة الخالق الذي أوجد القانون نفسه. وبهذا يعيد ترتيب العلاقة بين العلم والإيمان، دون صدام مصطنع.

الخاتمة

تتلخص هذه الدراسة إلى أن الاستدلال على البعث بالخلق الأول في تفسير وهبة بن مصطفى الزحيلي لا يُمثّل مجرد عرضٍ تفسيري لآيات المعاد، بل يُشكّل بناءً عقديًّا متكاملًا يقوم على إعادة تفعيل البرهان القرآني في سياق معرفي معاصر. فقد تبيّن أن الزحيلي ينطلق من مركزية النص، ويجعل من القياس على بدء الخلق أصلًا برهانيًا جامعًا، يستند إلى مسلمة فطرية عقلية مؤداها أن القدرة التي تعلّقت بالإيجاد من العدم لا يعجزها تعلّقها بالإعادة بعد الفناء.

ومن خلال التحليل المقارن، ظهر أن هذا المسلك متجذّر في التراث الكلامي السني، كما قرّره كلٌّ من فخر الدين الرازي وأبو حامد الغزالي وأبو المعالي الجويني، غير أن الزحيلي يعيد تقديمه في إطار تفسيري تحليلي يتجنب الاصطلاحات الجدلية الثقيلة، ويستبدل بها خطابًا قرآنيًا بيانيًا موجَّهًا إلى العقل والفطرة معًا. وبهذا يحقق نوعًا من التوازن المنهجي بين التأصيل الكلامي والانضباط التفسيري، دون أن ينفصل عن مقتضيات الخطاب العقدي الراهن.

كما تكشف الدراسة أن قوة هذا البرهان لا تكمن في تقرير الإمكان العقلي فحسب، بل في ربطه بمقاصد العدل والحكمة؛ إذ إن نفي البعث يفضي — من الناحية العقدية — إلى إشكال في تصور الغاية من الخلق، ويقوّض الأساس الأخلاقي لفكرة الجزاء. ومن هنا فإن معالجة الزحيلي تتجاوز البعد النظري إلى بعد قيميٍّ غائيٍّ، يجعل من الإيمان بالبعث ضرورةً عقليةً وأخلاقيةً في آنٍ واحد.

ومن منظور نقدي، يمكن القول إن منهج الزحيلي يمثّل نموذجًا لتجديد الخطاب العقدي من داخل المنظومة التراثية، لا عبر القطيعة معها. فهو لا يُنشئ برهانًا مغايرًا لما قرره المتكلمون، لكنه يعيد ترتيب أولوياته، فيقدّم البرهان القرآني بوصفه أصلًا، ويجعل الجدل الكلامي تابعًا له لا حاكمًا عليه. وهذه النقلة المنهجية تُعد ذات أهمية في سياق الدراسات العقدية

(8) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1995)، 4:312.

المعاصرة، حيث تبرز الحاجة إلى خطاب يجمع بين الأصالة العلمية والقدرة على مخاطبة الإشكالات الحديثة بلغة رصينة غير تصادمية.

وعليه، فإن الاستدلال بالخلق الأول على البعث —كما عرضه الزحيلي— يظل من أقوى المسالك القرآنية وأعمقها أثرًا، لما يتسم به من بساطة في البناء، وعمق في الدلالة، وشمول في الأثر العقدي. وتوصي الدراسة بمزيد من البحوث المقارنة التي تستجلي منهج الزحيلي في قضايا عقدية أخرى، لبيان مدى اتساق مشروعه التفسيري في تجديد علم الكلام ضمن أفق قرآني معاصر.

نتائج

1. تبيّن أن الاستدلال بالخلق الأول على البعث يُعد من أقوى المسالك القرآنية في تقرير عقيدة المعاد، لما يجمعه من وضوح منطقي وقوة فطرية في الإقناع.
2. أظهر تحليل تفسير وهبة بن مصطفى الزحيلي أنه يعيد توظيف الأصول الكلامية السنية ضمن إطار تفسيري بياني، دون الوقوع في التعقيد الفلسفي أو الجدل الصوري.
3. كشفت الدراسة عن امتداد هذا المسلك في التراث العقدي عند كل من فخر الدين الرازي وأبو حامد الغزالي وأبو المعالي الجويني، مما يدل على رسوخ الأساس النظري لهذا البرهان في الفكر السني.
4. بيّنت الدراسة أن الزحيلي لا يقتصر على تقرير الإمكان العقلي للبعث، بل يربطه بمقاصد العدل الإلهي والحكمة، مما يعمّق البعد الأخلاقي للعقيدة.
5. أثبت البحث أن منهج الزحيلي يتميّز بقدرته على إعادة صياغة البرهان القرآني بما يجعله صالحًا لمواجهة الشبهات المعاصرة، خصوصًا في ظل النزعات المادية الحديثة.
6. خلصت الدراسة إلى أن التكامل بين النص القرآني والتحليل العقلي يشكّل الركيزة الأساسية في خطاب الزحيلي العقدي، وهو ما يجعله نموذجًا للتوازن بين الأصالة والترشيد المعاصر.

قائمة المراجع

1. ابن تيمية .مجموع الفتاوى .جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1995.
2. أبو حامد الغزالي .الاقتصاد في الاعتقاد .بيروت: دار الكتب العلمية، 1998.
3. أبو المعالي الجويني .الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد .بيروت: دار الكتب العلمية، 1995.
4. فخر الدين الرازي .التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) .بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
5. وهبة بن مصطفى الزحيلي .التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج .دمشق: دار الفكر المعاصر، 1418هـ.